

جالسوا مَنْ بِيدهِ مَقَالِيدُ كُلُّ شَيْءٍ! بِالصَّلَاةِ، يُصْبِحُ الشَّخْصُ إِنْسَانًا

شِيخُ الْفَقَهَاءِ الْعَارِفِينَ الشَّيْخُ بَهْجَتُ

* المقططفات المعرفية لهذا الشامخ - والمقتبسة بالكلية من الآيات والروايات أو التجارب السلوكية - هي كسواء تجري من ينبع الحكمة الزلال. وللإنصاف، فإنها مصباح مضيء في طريق تربية النفوس.

* مختارات من ترجمة خاصة بـ «شعائر» لكتاب (جرعة وصال)، المطبوع بإجازة مكتب شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الراحل الشيخ محمد تقى بهجت.

أن تضع جانباً كل شؤون الدنيا وكل كبير، لأن الله سبحانه وتعالى هو «أكبر»؛ فالمصلى يدخل حرم الكربلاء الإلهي بالتکبير، ولكن ما أدرانا نحن ما معنى هذا! فقد جاء في الحديث: «لو علم المصلى ما يغشاه من جلال الله، لما انفتح من صلاته».

المعصية، انحياز إلى المعدوم

﴿إِنَّا لَنَرَجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ لِدِينِنَا أَنْسٌ بَاطِنٌ﴾ بالقرآن، وعلاقة باطنية حميمة به، وبالدين ومقدمات التدين ومطلباته، وأن نكتفي بالكتاب والعترة لنسطير بأن الدين حق.

﴿لَقَدْ ماتَ بَعْضُ الْمُقْرَبِينَ شَوْفًا إِلَى لِقَاءِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ سَمَاعَ آيَاتِ الرَّحْمَةِ وَالنَّعْمَةِ وَالْعَذَابِ وَالنَّقْمَةِ يُؤْثِرُ فِي الْإِنْسَانِ الْوَحْدَ تَأثيرًا تَكْوينِيًّا﴾.

﴿اللَّهُ وَحْدَهُ أَعْلَمُ بِالْحَالَاتِ الَّتِي تَتَبَاثُ أَصْحَابُ الْمَقَامَاتِ الرَّوْحِيَّةِ فِي أَوْقَاتِ الْخَلُوَةِ وَالْمَنَاجَاهِ، وَكَيْفَ يَحْرُقُهُمْ، وَلَوْ لَفْتَرَةً قَصِيرَةً، صَمِّطَتِ التَّأْمُلُ الْفَكَرِيَّ إِثْرَ مُشَاهَدَةِ الْأَنْوَارِ الإِلَهِيَّةِ﴾!

﴿مَسَالَةُ إِطَاعَةِ الْأَوْامِرِ الإِلَهِيَّةِ أَوِ الْمُعْصِيَةِ وَالْأَنْصِيَاعِ لِأَوْامِرِ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ الْأَمَارَةِ، هِيَ أَمْرٌ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ نَجَالِسَ مَنْ بِيَدِهِ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ، وَالْغَنِيَّ وَالْفَقْرُ، وَالْمَرْضُ وَالْعَافِيَّةُ، وَالْمَشْفَى وَالْطَّبِيبُ، وَالثَّرَوَةُ وَرَأْسُ الْمَالِ... أَوْ أَنْ نَجَالِسَ مَنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا﴾!

﴿عِنْدَمَا نَعْزُمُ الْعَقْدَ عَلَى الطَّاعَةِ، إِنَّمَا نَعْزُمُ بِذَلِكَ عَلَى مُحَبَّةِ الْغَنِيِّ الْقَدِيرِ، وَالْعَلِيمِ الْكَرِيمِ، وَمَصَاحِبِهِ وَمَجَالِسِهِ. وَعِنْدَمَا نَعْزُمُ الْعَقْدَ عَلَى الْمُعْصِيَةِ، إِنَّمَا نَعْزُمُ عَلَى مَصَاحِبِهِ الْفَقِيرِ الْعَاجِزِ، وَاللَّئِيمِ الْجَاهِلِ، وَمَجَالِسِهِ﴾.

❖ إنّ [قلب] الحجّة الغائب ﷺ، يُكِنُّ أَجَلَ الْعِلُومِ وَأَرْفَعُهَا، كما أنّ لدِيهِ مِنَ الاسمِ الأعظمِ أَكْثَرَ مَا لَدِيَ الْآخَرِينَ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ سَأَلَ كُلَّ مَنْ تَشَرَّفَ بِرَوْيَتِهِ، فِي النَّوْمِ أَوِ الْيَقِظَةِ، بِأَنَّ يَدْعُو لَهِ [بِالْفَرْجِ]!

❖ إنّ السَّبِيلَ إِلَى التَّجَاهَةِ مِنَ الْمَصَابِ يَنْحُصُرُ فِي الدُّعَاءِ فِي الْخَلُوَاتِ لِتَعْجِيلِ فَرْجٍ وَلِيَ الْعَصْرِ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرْجَهُ الْشَّرِيفِ؛ لَا لَقْلَقَةَ لِسَانٍ أَوْ دُعَاءَ اعْتِيَادِيٍّ، بَلْ دُعَاءَ مَعْ تَوْبَةٍ وَإِخْلَاصٍ، وَصِدْقِ التَّائِيَّةِ.

الصَّلَاةُ، دُخُولٌ فِي حَرَمِ الْأَمْنِ الإِلَهِيِّ

❖ الصَّلَاةُ هِيَ الْمِيزَانُ الْحَقِيقِيُّ. فَالصَّلَاةُ هِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ، وَأَحْلِي الذِّكْرِ، وَأَفْضَلُ الْأَشْيَاءِ... وَكُلُّ الْأَشْيَاءِ تَتَبَعُ الصَّلَاةَ. فَعَلِيَّنَا بِتَحْسِينِ هَذِهِ الصَّلَاةِ بِكُلِّ مَا أُوتَيْنَا مِنْ قُوَّةٍ. إِذَا صَحَّتِ الصَّلَاةُ وَعَذَّبَتْ؛ صَارَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا حَقًا. فَالصَّلَاةُ فِي نِهايَةِ الْمَطَافِ هِيَ الْمَحْكَمُ!

❖ إنَّ السَّلَامَ مِنْ قَبْلِ الْمَوْلَى الْحَقِّ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى، هُوَ هَدِيَّةُ السَّفَرِ الْأَوَّلِ الَّتِي يَرْجِعُ بِهَا الْعَبْدُ مِنْ عَنْدِهِ جَلَّ وَعَلَا. فَقَدْ جَاءَ فِي دُعَاءِ مَسْجِدِ الْكَوْفَةِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ وَيَعُودُ السَّلَامُ، حَيَّنَا مِنْكَ بِالسَّلَامِ».

❖ ذِكْرُ اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ هُوَ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، فَالصَّلَاةُ بِمِنْزِلَةِ الْكَعْبَةِ؛ وَالْمَصْلَى يَدْخُلُ فِي صَلَاتِهِ حَرَمَ الْأَمْنِ الإِلَهِيِّ؛ وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَدْخُلُهُ مِنْ بَابِ التَّكْبِيرِ، وَيَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ بَابِ التَّسْلِيمِ.

❖ لَكُمْ يُنَاسِبُ التَّكْبِيرُ الدَّخُولَ فِي الصَّلَاةِ، وَلَكُمْ يُنَاسِبُ التَّسْلِيمُ الْخُروجَ مِنْهَا! [كلمة] «أَكْبَرَ» تَنَاسِبُ التَّكْبِيرِ، مَا يَعْنِي